نظريّة التّلقّي -المفهوم وضبابيّة التّرجمة-

-Reception Theory-

-Concept and ambiguity of translation-

د/حدّاد خديجة
قسم الدّراسات الأدبيّة والنّقديّة
جامعة عبد الحميد بن باديس-مستغانم-
Khadidjafadal03@gmail.com

تاريخ الاستلام:2021/07/20 تاريخ القبول:2021/08/06

الملخّص:

يروم هذا البحث الوقوف عند ماهيّة نظريّة التلّقي، الّتي تأسّست على يد رائدي مدرسة كونستانس الألمانيّة"وهما: روبرت ياوس"(Hans Robert Jauss) وولفانغ آيزر (Wolfgang Iser) ، وكذا التّعريج على مختلف الدراسات النّقديّة العربيّة الّتي تجاذبت المصطلح في محاولة من الباحثين إلى إيجاد المقابل الصّحيح للمصطلح.

وقد اعتمدنا في مقالتنا هذه المنهج الوصفي؛ لأنّنا اتّكأنا على مجمل الأبحاث النّقديّة بغية التّعرّف على مختلف آراء الباحثين سواء أتعلّق الأمر بتعريف النّظريّة أم بترجمة المصطلح، كما اعتمدنا في ذلك التحليل ثمّ اهتدينا إلى نتائج تخصّ دراستنا هذه.

توصّلنا إلى نتيجة مفادها أنّ النّظريّة لاقت رواجا كبيرا في الساحة النّقديّة؛ بسبب عنايتها بقطب القارئ الّذي أضحى أكثر من ضرورة ملحة في العمليّة الإبداعيّة؛ حيث أصبح هو العنصر المهيمن بعد أن تمّ إقصاء المبدع والنّص. واهتدينا إلى وجود ضبابية في تحديد المصطلح لدى النّقاد بمختلف مشاربهم وتوّجاتهم؛ وبالتّالي لم يستطيعوا القبض على ترجمة المصطلح.

الكلمات المفتاحية: نظريّة التّلقي؛ إعادة إنتاج النّص ؛ إشكالية التّرجمة؛ القارئ.

ABSTRACT

This research aims to stand at the nature of the theory of reception, which was founded by the pioneers of the German Konstanz School “Hans Robert Jauss” (Wolfgang Iser), as well as to stand on the various critical studies that have attracted the term in an attempt by researchers to find the correct equivalent of the term .

We have adopted in our article this descriptive approach; Because we relied on the entirety of critical research in order to get to know the different opinions of researchers, whether it comes to defining the theory or translating the term, as we relied on that analysis and then reaching conclusions.

We came to the conclusion that the theory gained great popularity in the monetary arena; Because of her care for the reader's pole, which has become more than an urgent necessity in the creative process; Where it became the dominant element after the exclusion of the creator and the text. We were guided by the presence of ambiguity in defining the term among critics of all walks of life. Hence, they were unable to catch the translation of the term.

Keywords: reception theory; Text Reproduction; the problem of translation; the reader..

المقدّمة:

ممّا لا يختلف فيه اثنان هو أنّ الحركة النّقديّة انصبّ اهتمامها في مرحلتها الأولى على قطب المبدع؛ وذلك لما يملكه من دور فعّال في تفسير وشرح الأعمال الإبداعيّة . والاهتمام بعنصر المؤلّف كان من قبل نقّاد المناهج السياقية "الاجتماعي والنفسي والتاريخي"، والّتي بوّأته مكانة مركزيّة في مقابل ذلك جعلت قطب المتلقّي "القارئ" في الهامش، باعتبار أنّ المتلقّي كان يمارس دورا ثانويّا في العمليّة الإبداعيّة. في حين شهدت المرحلة الثانية من الحركة النقديّة مسارا مغايرا؛ حيث كانت العناية بالنّص دون المبدع والعلائق الخارجية المحيطة بالمُنْتَجِ النّصي، وبداية هذا التّحول كان مع رواد البنيويّة وخاصّة عندما أعلن رولان بارث عن موت المؤلّف ، لينعتق النّص من صاحبه، ويتحوّل الاهتمام من السياق الخارجي إلى جوّانية النّصوص أثناء ممارسة النقد والقراءة. لكن مسار الحركة النّقديّة لم يتوقّف عند هذا الحدّ، فقد عرفت نظريات أخرى أعلت من شأن القارئ وأقصت بذلك دور المبدع والنّص من بينها: نظريّة التّلقي الألمانيّة.

لذلك سنحاول في بحثنا هذا الإجابة عن التّساؤلات الآتيّة:

-ما مفهوم نظريّة التّلقي؟

-ما وضع المصطلح في دواليب السّاحة النّقديّة؟

1-توطئة:

تعدّ نظريّة التّلقي من النظريّات النّقديّة الحديثة والّتي يطلق عليها بنظريّات ما بعد البنيويّة، وقد جعلت القارئ يعتلي قبّة العمليّة الإبداعيّة، مانحة إيّاه سلطة عالية، بعد أن تماهى دوره في المناهج النّقديّة السّياقيّة والنّصانيّة. في مقابل ذلك قوّضت سلطة الكاتب والنّص معا؛ وذلك لأنّ العمليّة الإبداعيّة لا تتحقّق إلّا بوجود قارئ يرخي سدول التّأويل ويسبر غور النّصوص ويستخرج مكنوناتها، وهكذا اعتبرت النّظريّة القارئ " قوّة مسيطرة تمنح النّص الحياة، وتعيد إبداعه من جديد، وبهذا تصبح القراءة عمليّة إنتاجيّة لا مجرّد عمليّة تلقّ واستهلاك فحسب."1، فنظريّة التّلقي هي ردّ فعل عنيف على المناهج السّياقيّة والنّصانيّة الّتي بدت قاصرة –إلى حدّ كبير- في تناول ودراسة الإبداع.

وكما هو معلوم فإنّ مصطلح "نظريّة التّلقي" "Reception Theory" برز في السّاحة النّقديّة في بداية السبعينيّات من القرن العشرين، وقد لاقى هالة أسطوريّة من العناية والدراسة من قبل الدّارسين والنّقاد؛ والأمر يعود إلى النّفس الجديد الّذي عرفه المشهد النّقدي، في محاولة لمواكبة أبرز التغيرات التي عرفتها السّاحة العالميّة من سياسيّة واجتماعيّة ...الخ.

2.**ماهيّة المصطلح**:

1.2لغة: لتحديد التعريف اللغوي لمصطلح "تلقّ" لابد من العودة إلى مختلف المعاجم العربية؛ ففي لسان العرب ورد قوله: "الاستقبال، تلقّاه أي استقبله، وفلان يتلقّى فلان أي يستقبله، والرّجل يلقّي الكلام أي يُلَقِّنُه."2 ونستشف من تعريف اللفظة من خلال الاستناد إلى معجم لسان العرب أنّها تعني: الاستقبال والتّلقين..وفي الإنجليزية يقال: Reception أي استقبال أو تلقّ ويقال: Receptionist أي متلق تستقبل الوافدين في مكتب أو مؤسّسة أو فندق Receptuve أي متلقّ أو مستقبل.3

وقد وردت لفظة "التّلقّي" في القرآن الكريم، يقول الله عزّ وجل: "وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ"4، وقوله كذلك: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ (16) إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (17) مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ(18)".5

وبناء على ما سبق نستشفّ أنّ من بين دلالات مصطلح " التلقي" كما ورد في الآيات القرآنية هي: التّلقين والتّعليم والاستقبال.

2.2اصطلاحا:

تعرّف بأنّها: "مجموعة من المبادئ والأسس النّظريّة والإمبريقيّة شاعت في ألمانيا منذ منتصف السّبعينات على يدى مدرسة تدعى كونستانس تهدف إلى الثّورة ضدّ البنيويّة الوصفيّة وإعطاء الدّور الجوهري في العمليّة النّقديّة للقارئ أو المتلقّي باعتبار أنّ العمل الأدبي ينشئ حوارا مستمرّا مع القارئ بصورة جدليّة تجعله يقف على المعنى الّذي يختلف باختلاف المراحل التاريخيّة للقارئ."6 ونلمس من هذا التّعريف أنّ النظريّة أغفلت صاحب النّص والظروف والعلائق الخارجيّة أثناء التّعامل مع النّص من قبل القرّاء.

وقد أثّلت مدرسة كونستناس الألمانيّة مفاهيمها وبلورت هيكلها من خلال رائديها "ياوس" و "آيزر"، مُعلين سلطة القارئ الّتي غيّبت ردحا من الزّمن مع المناهج السياقيّة وكذا النّصانيّة؛ الشيء الّذي أنتج أزمة في النقد الّذي أضحى لا يساير النّصوص الإبداعيّة وبالّتالي " معنى هذا أنّ النّظريّة الجديدة حركة تصحيح لزوايا انحراف الفكر النّقدي، لتعود به إلى قيمة النّص، وأهمّية القارئ، بعد أن تهدّمت الجسور الممتدّة بينهما بفعل الرّمزيّة والماركسيّة، ومن ثمّ كان التّركيز في مفهوم الاستقبال لدى أصحاب هذه النّظريّة على محورين فقط هما على التّرتيب: القارئ والنّص، فالقارئ عندهم هو المحور الأهمّ والمقدّم في عمليّة التّلقّي..."7 وهكذا جاءت هذه الحركة النّقديّة الجديدة لتخالف بعض الحركات الأدبيّة وكذا الفلسفات الغربيّة وبعض المناهج النقديّة الغربيّة في طريقة التّعامل مع النّص؛ فالرّمزيّة أهملت القارئ، والشّيء نفسه بالنّسبة للماركسيّة الّتي تتعامل مع النّص من خلال إلقاء الضوء على مؤلّفه من خلال التّركيز على الطّبقة الّتي ينتمي إليها باعتباره اللسان عنها.

في حين يعرّف محمّد عزّام التّلقّي بقوله: "ليس مجرّد استهلاك سلبي للأدب، وإنّما هو عمليّة فاعلة في "الفهم" و"التّقييم" و"إعادة الإنتاج الأدبي"8 وبالتّالي للتّلقّي دور كبير في عمليّة سبر غور النّص الإبداعي وإعادة إنتاجه من جديد من قبل المتّلقّي.

والّذي يتبدّى لنا في الظّاهر أنّ مفهوم "نظريّة التّلقيّ" يحمل معنى واحدا في المدرسة الألمانية، إلّا أنّه يحمل في طياته مفهومين متباينين ومكمّلين لبعضهما في الوقت نفسه، والمفهومان هما: "جماليّة التّلقّي" والمتعلّق بياوس و"جماليّة التّأثير" المتعلّق بآيزر.

3.إشكاليّة تحديد المكافئ لمصطلح " نظريّة التّلقّي":

لقد عرفت السّاحة النّقديّة تضارب في المصطلحات بغية مقاربة مصطلح "Reception Theory" ونذكر من بينها: نظرية التّلقي، نظريّة التأثير والاتّصال، نظريّة الاستقبال، نظريّة نقد استجابة القارئ، نظريّة القراءة...وغيرها من المصطلحات.

ولا غرو أنّ عدم توحيد الترجمة راجع إلى الخلفيّة التي انفتق منها مصطلح " نظريّة التّلقي" والّتي تختلف عن البيئة الحاضنة له، وكذا راجع إلى التّرجمات الفرديّة إضافة إلى عدم الفهم الصحيح للنّظريّة النّقدية وهذا ما يؤكّده يوسف وغليسي في قوله: "بين المنهج والمصطلح علاقة قرابة وثيقة يجدر بالنّقاد وصلها، إنّهما صنوان ليس في وسع أحدهما أن يستغني عن الآخر أثناء الفعل النّقدي، ودون ذلك يهتزّ الخطاب النّقدي وتذهب ريحه ويفشل في القيّام بوظيفته."9، وفي ذات الشأن يقول عبد العزيز حمّودة: "إنّ القيّم المعرفيّة القادمة مع المصطلح تختلف بل تتعارض أحيانا، مع القيّم المعرفيّة الّتي طوّرها الفكر العربي المختلف."10 هي أسباب وأخرى كانت حائلا دون إيجاد ترجمة واحدة لمصطلح "نظريّة التّلقي" في السّاحة النّقديّة العربيّة.

وإذا كان النقاد الألمانيون قد انتصروا لمصطلح "نظريّة الاستقبال"، فإنّ الأمر ليس كذلك بالنّسبة للنّقاد الأمركيين والّذين فضّلوا مصطلح "نقد استجابة القارئ" يقول محمّد عزّام: "إذا كان مصطلح نظريّة الاستقبال قد لقي رواجا في النّقد الألماني الغربي المعاصر، فإنّ مصطلح "نقد استجابة القارئ" هو الأكثر شيوعا في النّقد الأمريكي المعاصر وذلك عند انتقال هذه النّظريّة إلى الولايات المتّحدة."11

وبترصّدنا لمصطلح "نظريّة التّلقي" في الدّراسات النّقدية العربيّة، لمسنا أنّ هناك تضارب وتباين في التّرجمات، فهذا عزّ الدّين إسماعيل فضلّ مصطلح " نظريّة التّلقي"12 من خلال ترجمته لكتاب روبرت هولب Robert Holub والمعنون ب "Reception Theory- A Crtical Introduction"، وحجّته في ذلك أنّ مصطلح " نظريّة التّلقّي" "أقرب إلى الدّلالة المقصودة وهي تلقّي القارئ للنّصوص الأدبيّة، أمّا كلمة الاستقبال فلها في اللغة العربيّة تعلقات أخرى، كما هو الشأن في اللّغة الإنجليزيّة."13 في حين نلفي رعد عبد الجليل جواد قد تبنّى مصطلح الاستقبال من خلال ترجمته لكتاب روبرت هولب نفسه وعنون الكتاب ب "نظريّة الاستقبال- مقدّمة نقديّة"14.

أمّا "عبّود عبده" فقد اختار مصطلح "نظريّة الاستقبال" كمكافئ لمصطلح " Recepion" ؛ وذلك بحسب رأيه "أنّ هذه الكلمة هي الأصحّ معجميّا، وأنّ الاشتقاق من فعل (استقبل) أيسر من الاشتقاق من فعل (تلقّى) المعتلّ الأخير، ناهيك عن أنّ هذا الفعل ليس المعادل المعجمي الصحيح لفعل Regipieren الألماني."15

وللناقدة نبيلة إبراهيم رأي آخر، فهي تفضّل مصطلح "نظريّة التأثير والاتّصال" وحجتها في ذلك هو أنّ عمليّة القراءة تكون "لا من حيث إنّ النّص قد استقبل بل من حيث إنّه قد أثّر في القارئ وتأثّر به على حدّ السّواء، ولهذا فإنّ أصحاب هذه النّظريّة لا يسمّون نظريّتهم نظريّة الاستقبال، بل يسمونها نظريّة التأثير والاتّصال."16، ويفهم من كلامها أن اختيارها لمصطلحي التأثير والاتصال؛ وذلك لأنّ عمليّة استقبال النّص من قبل المتلقّي غير مهمّة بالنّسبة للنظريات النقدّية، فالّذي يهمّ بالدّرجة الأولى هو التأثير الّذي يحدث بين النّص ومتلقّيه، وهكذا فالمكافئ الأقرب لمصطلح "Reception" هو "التأثير والاتّصال".

في حين فضّل "حسين الواد" مصطلح "نظريّة التّقبّل"؛ حيث قال في مقال له معنون ب "من قراءة النّشأة إلى نظريّة التّقبّل": أبرز ما وصلت إليه عناية الباحثين (بالقارئ) و(القراءة) هو نظرية جماليّة التّقبّل فلقد عرفت هذه النّظريّة L'esthétique de la réception منذ نشأتها في ألمانيا الغربيّة صدى طيّبا لدى الدّارسين، وأثارت من حولها نقاشا ثريّا جدّا."17

والشّيء الّذي يعاب على النّاقد حسين الواد هو أنّه يعط رؤيته لنظريّة التّلقّي، ولم يهتد إلى تحديد مفهوم مضبوط للنّظريّة، حيث اكتفي بوضع المقابل العربي للمصطلح.

وانتصر النّاقد "عبد القادر مومني" لمصطلح "نقد استجابة القارئ" وذلك في حديثه عن العلاقة التي تشج بين النّص وصاحبه؛ إذ يقول: "تتفاوت النّصوص في استفزاز القارئ لمباشرة القراءة، وهذا ما يحيلنا إلى القول بتفاوت القراءة والاستجابة للنّص المقروء، ونركّز على القارئ بوصفه منتجا للنّص، قادرا على إعادة كتابته وهو توكيد يمثّل أحد الاتّجاهات البارزة في النّقد الغربي المعاصر، وهو الاتّجاه الّذي يُدعى(نقد استجابة القارئ)"Reader response critisme reception" "18

وهكذا من خلال الأبحاث النّقديّة التي فتشنا فيها بالدّراسة، ألفينا أنّ مصطلح " نظريّة التّلقي" يعاني فوضى في الترجمة في فضاء الاستقبال؛ أي البيئة العربيّة، الأمر الّذي صعّب على الباحثين في أيّ ترجمة يتبنّون في مجمل أبحاثهم النّقديّة الّتي تصبّ في نظريّة التّلقي.

الخاتمة:

من خلال هذا البحث حول تتبّع مفهوم " نظريّة التّلقي" وكذا التّعريج إلى واقعه في الساحة النّقديّة توصّلنا إلى النّتائج الآتيّة:

-يظهر أنّه ثمّة تباين بين النّقاد في تناول نظريّة التّلقّي؛ والسبب راجع إلى عدم تحرّي الدّقة أثناء التّرجمة، إضافة إلى الاستعمال الفوضي للمصطلح.

- إنّ الخوض في غمار المصطلح أمر صعب للغاية؛ لكن مع هذا أضحى من الضروري القضاء على فوضى الترجمات، بغيّة تطبيق إجراءات النّظريات النّقدية بعيدا عن كلّ لبس وغموض.

-وبالتالي من بين الحلول المقترحة لتوحيد الترجمات نذكر:

-اعتماد العمل الجماعي في الترجمة ودرء التّرجمات الفرديّة الّتي لا تزيد إلّا المشكلة تعقيدا.

-استيعاب المصطلح جيّدا قبل نقله إلى العربيّة خصوصا فيما يتعلّق الأمر بعدم عزله عن العلائق الّتي انبجس منها والابتعاد عن التّرجمات الحرفيّة .

الإحالات:

1 - عزّام محمّد، النّص المفتوح(التّفكيك أنموذجا)، الموقف الأدبي، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريّة، العدد 398، 2004، ص52-53-

2 - ابن منظور، لسان العرب، مادّة لقا، ص256.

3 - روحي البعلبكي، المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ط20، 2006، ص365.

4- سورة النّمل: الآية 06.

5- سورة "ق": الآيات16-17-18.

6 - سمير حجازي، مدخل إلى مناهج النّقد الأدبي المعاصر ويليه قاموس للمصطلحات النقديّة ، دار التّوفيق للطباعة والنّشر والتّوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 2004، ص167.

7- محمود عبّاس عبد الواحد، قراءة في جماليّات التّلقّي بين المذاهب الغربيّة الحديثة وتراثنا النّقدي (دراسة مقارنة)، دار الفكر العربي، مصر، ط1، 1996، ص17.

8- محمّد عزّام، التّلقّي والتّأويل (بيان سلطة القارئ في الأدب)، دار الينابيع، دمشق، سوريّة، ط1، 2007، ص79.

9 - يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الدّار العربيّة للعلوم، الجزائر، ط1، 2008، ص58.

10 - عبد اللّه الغذّامي، المرايا المحدّبة (من البنيويّة إلى التّفكيك) ، عالم المعرفة، الكوّيت، د.ط، 1998، ص54.

11 - محمّد عزّام، التّلقّي والتأويل-بيان سلطة القارئ في الأدب- ، مرجع سابق، ص80.

12 - هولب روبرت، نظريّة التّلقّي (مقدّمة نقديّة)، تر: عزّ الدّين إسماعيل، كتاب النّادي الثّقافي بجدّة، رقم السّلسلة 97، ط1، 1994، ص08-09 مقدّمة المترجم.

13 - المرجع نفسه، ص31.

14 - هولب روبرت ، نظريّة التّلقّي (مقدّمة نقديّة)، تر: رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنّشر والتّوزيع، اللّاذقيّة، سوريّة، ط1، 1992، مقدّمة الكتاب.

15 - هجرة النّصوص(دراسات في التّرجمة الأدبيّة والتّبادل الثّقافي)، عبّود عبده،، منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، سوريّة، ط1، 1995، ص237.

16- نبيلة إبراهيم، القارئ في النّص- نظريّة التأثير والاتّصال، مجلّة فصول، مج5، ع1، 1984، ص102.

17 - حسين الواد، من قراءة النّشأة إلى قراءة التّقبّل ، مجلّة فصول، مج5، ع1، ص118.

18- عبد القادر المومني، علاقة النّص بصاحبه، مجلّة عالم الفكر، المجلس الوطني لثقافة الفنون والآداب، الكوّيت، مج25،ع3، يناير، 1997، ص117.